

النبات في صحراء الوطن العربي

أحمد الدسوقي الغريب

الصحراء في الوطن العربي

ما هي الصحراء

جرى العرف على تعريف الصحراء بأنها مناطق جافة لا زرع فيها ولا ماء، وهكذا يبدو تعريف الصحراء سهلاً، ولكن تحديد المفهوم العلمي للصحراء ليس بالأمر اليسير، وذلك لاختلاف وجهات نظر ذوي التخصصات المختلفة، فكلّ نظرته الخاصة التي ترتبط بتخصصه وفنه:

- فعالم النبات يرى أن خصائص الكساء الخضري النباتي هو المعيار المحدد لمفهوم الصحراء لديه، وأبرز هذه الخصائص: النبات المبعثر والشجيرات القصيرة المتباعدة، التي تحمل من الصفات التشريحية والخارجية ما يمكنها من مقاومة الجفاف.
- بينما عالم التربة، يهتم بأنواع التربة ولونها، والتاريخ الجيولوجي للرواسب وغير ذلك من العوامل.
- وعالم المناخ يهتم بحركة كتل الهواء الجاف ودرجات الحرارة، وكمية الأمطار وغير ذلك من عوامل المناخ.

وقد قام العلماء بوضع مجموعة من المعادلات تربط بين كل المتغيرات والمعايير السابقة وكلها معايير صحيحة، ورغم ذلك ليس هناك إجماع على تعريف موحد للصحراء، ولكن يمكن إجمال تعريف الصحراء كما يلي:

- الصحراء هي المناطق التي تكون فيها موارد المياه أقل بكثير من قدرة عوامل البخر على التجفيف (ممثلة في قلة كمية المطر وعدم انتظامه وشدة البخر)، كما أن المناطق الصحراوية تشهد تفاوتاً شديداً في درجات الحرارة بين الليل والنهار، والصيف والشتاء، وتتميز التربة بقلة المواد العضوية، وينعكس ذلك على الغطاء النباتي الذي يبدو مبعثراً ويندر فيه وجود الأشجار الكبيرة، كما تتميز الصحراء بوجود مناطق شاسعة عارية تماماً من النباتات.

تقسيم الصحراء في الوطن العربي

تصنف الصحراء كما ذكرنا آنفاً وفقاً لمعايير مختلفة، قد تكون حسب درجات الحرارة أو حسب كمية الأمطار المتاحة، لذلك يمكن تقسيم الصحارى في الوطن العربي إلى ثلاثة أقسام:

- **صحراء شديدة الجفاف:** لا يكون المطر فيها سوى ظاهرة تتكرر سنوياً، وأقل من 100 ملليمتر سنوياً
- **الصحاري الجافة:** يتكرر فيها المطر سنوياً، ولكن بصورة غير منتظمة، ولا يزيد متوسطه عن 100 ملليمتر سنوياً بحسب بعض التصنيفات وهناك تصنيفات أخرى تقول إنه لا يزيد عن 250 ملليمتر سنوياً.

- **الصحارى شبه الجافة:** التي يزيد فيها متوسط المطر السنوي عن المعدلات السابقة، أحياناً أكثر من 250 ملليمتر سنوياً

اللافت للنظر أن الصحراء شديدة الجفاف تشغل جزءاً كبيراً من الوطن العربي متمثلاً في الصحراء الكبرى التي تشمل موريتانيا والمغرب والجزائر وتونس وليبيا ومصر، وصحراء الربع الخالي في جنوب شرقي الجزيرة العربية.

أما الصحراء الجافة فتشمل مساحة كبيرة تحيط بالصحراء شديدة الجفاف في كل البلدان العربية، ولا تزيد معدلات الأمطار السنوية فيها عن 100 ملليمتر سنوياً.

أما الصحاري شبه الجافة فتتمثل في مرتفعات شمال العراق وبعض المناطق في سوريا، والأردن ولبنان واليمن وبعض المناطق في السودان، والمناطق الساحلية في مصر وليبيا وتونس والجزائر.

النباتات في الصحراء

ترتبط الحياة النباتية في الصحراء بكمية المطر وتوزيعه، وتمثل الحياة النباتية أصل وجود الحياة في الصحراء، ولعلنا نلمس ذلك عندما نرى البدوي أول ما يسأل فإنه يسأل عن العشب والكأ والمطر، وهنا لا مجال للحياة في أرض ليست فيها هذه المكونات.

تقسيم الكساء النباتي في الصحراء

- **كساء نباتي طاريء:** ويتمثل في النباتات الحولية التي تظهر في الفترات المطيرة، وذلك في المناطق شديدة الجفاف، وهذه الحوليات لا تلبث أن تتحول إلى هشيم يذروه الرياح بحلول فصل الجفاف، كما هو الحال في صحراء الربع الخالي، والصحراء الكبرى في أفريقيا.
- **كساء نباتي يقتصر وجوده على المناطق المنخفضة:** وتكون هذه النباتات في الأودية والمجاري المائية والمنخفضات التي ينساب إليها الماء السطحي - من مياه الأمطار - من المناطق الجبلية العالية ماراً على السفوح ومتجمعاً في هذه المناطق المنخفضة. وهنا تتجمع كمية من التربة محمولة بماء الانسياب السطحي والرياح التي ينمو فيها الكساء الخضري النباتي، وهذا النوع من الكساء النباتي منتشر في الصحاري الجافة.
- **كساء نباتي منتشر:** ويظهر ذلك في المناطق التي تسقط عليها الأمطار بكمية وفيرة نسبياً، مثل مناطق الصحاري شبه الجافة.

بالإضافة إلي ما سبق، توجد مجموعة من النباتات الأقل رُفياً مثل الأشن والطحالب والفطريات والبكتيريا في معظم البيئات الصحراوية. والأشن مزيج من الطحالب والفطريات توجد على الصخور وجذوع الأشجار.

ولعل عمق التربة وكمية الأمطار، وطبيعة المكان الجيولوجية هي التي تحدد نوعية النباتات وتنوعها، ووجودها أو عدم وجودها في المناطق. ومن هنا تأتي الاستخدامات المختلفة للنباتات اعتماداً على تواجدتها بالمناطق المختلفة.